

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المصطفى.

هذه ملخصات لأهم ما هو في مقرّر مقياس بيبليوغرافيا النقد العربي القديم على طلبية السنة الأولى
ماستر شعبة الأدب العربي القديم أقدمها بين أبنائي طلبية هذه الشعبة للاستئناس بها في ظل هذه
الظروف العصيبة التي تمرّ بها البشرية، رجعت في إعدادها إلى جملة من كتب أصحاب الاختصاص،
ولكنني استسمحهم على ما قد يظهر فيها من هنات سببها، علم الله، ضيق الوقت والظروف غير المناسبة،
وأعدهم أن تكون بداية لعمل مثمر لاحقاً، إن كانت في العمر فسحة، عمل ننقحه ونقدّمه بين أيديهم في
صورة أوسع وأحسن من هذا.

والله المستعان.

مفهوم الببليوغرافيا

التعريف اللغوي والاصطلاحي

هي بالانجليزية Bibliography ببليوجرافيا أو ببليوغرافيا كلمة غير عربيّة دخلت لغتنا في العصر الحديث، وقد جاءت هذه الكلمة أصلا من اللغة اليونانيّة، وهي مركبة من كلمتين هما؛ Biblion كتيب وهي صورة التصغير للمصطلح Biblios بمعنى كتابة، وكلمة Graphia وهي اسم الفعل المأخوذ من الفعل Graphein بمعنى ينسخ أو يكتب.

من هنا فالببليوجرافيا كلمة تتكون من مقطعين ببليو معناها كتاب وجرافيا وتعني وصف، ولذلك يمكن القول بأنّ أبسط تعريف للكلمة هو وصف الكتب.

كانت ببليوجرافيا تعني منذ ظهورها خلال العصر اليوناني وحتى القرن السابع عشر " نسخ الكتب " وظلت تحمل المعنى نفسه حتى تحول مدلولها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر من " نسخ الكتب " أو " كتابة الكتب " إلى " الكتابة عن الكتب."

عرف قاموس أكسفورد الانجليزي " بليوجرافيا " بأنها: " نسخ أو كتابة الكتب، أي بمعنى وصف وتاريخ الكتب من ناحية التأليف والطباعة والنشر وغير ذلك، وقائمة بالكتب الخاصة بمؤلف أو ناشر أو وطن أو فكرة معينة أو موضوع معين."

تشتمل القائمة الببليوجرافية في العادة علي حصر شامل أو غير شامل به بيانات ببليوجرافية عن مصادر المعلومات المستغلة مثل الكتب أو الرسائل الجامعية أو الدوريات وغير ذلك، وقد تقتصر الببليوجرافية على نوع واحد مثل الكتب وقد تغطي نوعين أو أكثر من أنواع مصادر المعلومات، وهي قائمة مرتبة وفقا لنظام ما بالمصادر الخاصة بموضوع معين أو شخص معين أو تلك الصادرة في فترة زمنية معينة أو في مكان محدد.

وعليه فتعريف الببليوغرافيا هو: " إعداد القوائم المنظمة التي تحصر المواد والأعمال العلمية الخاصة بمؤلف معين أو ناشر معين أو بلد معين أو موضوع من موضوعات المعرفة.

والبليوجرافيات هي البيانات، فالبليوجرافيا مثل اسم المؤلف، وعنوان الوعاء، والطبعة، وبيانات النشر، وعدد الصفحات، وعن أوعية المعلومات سواء أكانت نوعية واحدة فقط أو عدة نوعيات معا.

البليوجرافيا عند العرب

عرف العرب البليوجرافيا باسم الفهرست الفارسية ودلت على قوائم كتب مكتبة أو خزانة كفهرسة بيت الحكمة في بغداد، وفهرسة مكتبة الحكم المستنصر في قرطبة. كما دلت كلمات الفهرست عند العرب على البليوجرافيا بالمعنى الحديث، وهذا ما نجده عند ابن النديم وابن خير الإشبيلي وفهرست مؤلفات الجاحظ. أما أشهر الأعمال البليوجرافية عند قدماء العرب فهي، في تقديري، كتاب الفهرست لابن النديم، وإرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد لابن إبراهيم الأكفاني، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كوبري زاده، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة.

ويعدّ تاريخ الأدب العربي للمستشرق الألماني كارل بروكلمان وتاريخ التراث الإسلامي للمرحوم محمد فؤاد سزكين أشهر كتب البليوجرافيات للتراث العربي في العصر الحديث.

عرفت اللغة العربية جملة من المصطلحات التي استخدمت للدلالة على الأعمال البليوجرافية، ومنها:
01. فهرس أو فهرست: وهو الكتاب الذي تجمع فيه أسماء الكتب مرتبة وفق نظام معين، مثل: الفهرست لابن النديم.

02. وراقة: وهي حرفة صناعة الورق ونسخ الكتب والاتجار فيها، ومال البعض لاستخدامها مقابلا لكلمة بليوجرافيا الأجنبية إلا أن هذا اللفظ لم يكتب له الشيع والانتشار.

03. معجم: وتستخدم مضافة إلى كلمة أخرى، مثل: معجم مطبوعات المجمع العلمي للقاهرة.

04. نشرة: وتضاف إلى كلمة أخرى مثل: النشرة العربية للمطبوعات التي تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

05. قائمة: وتضاف إلى كلمة أخرى مثل: قائمة بليوجرافية.

06. دليل: ويستخدم للإشارة إلى الأعمال البليوجرافية مثل: دليل المطبوعات المصرية.

ظهرت محاولات عربيّة كثيرة لاقتراح مصطلح بديل لكلمة ببليوجرافيا مثل كلمة وراقة وكلمة ثبت، لكن هذه الكلمات البديلة لم تلق قبولا لدى المكتبين العرب لأسباب عديدة منها: عالمية استخدام كلمة ببليوجرافيا وتعدد معانيها مما جعل العثور على كلمة عربية مماثلة لها أمرا في غاية الصعوبة، وبقيت كلمة ببليوجرافيا هي المستخدمة.

01 .طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي [ت232 هـ]

نبذة موجزة عن ابن سلام

أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي البصري، مولى قدامة بن مظعون الجمحي بالولاء، ولد بالبصرة سنة 139 هـ، وتوفي في بغداد سنة 232 هـ.

نشأ في البصرة، موطن الرّعيّل الأول من علماء العربية الأوائل وفحولها ، ولقي الكثير من علماء اللغة والنحو ورواة الأدب والأخبار فيها. تتلمذ على يد كبار علماء عصره ومنهم حماد بن سلمة ومبارك بن فضالة والأصمعي وغيرهم، وقد اشتهر بسعة علمه وصدق روايته.

تتلمذ على يديه الكثير من الأعلام كأحمد بن يحيى المعروف بثعلب، وأبو حاتم السّجستاني، والملازني، والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم.

ذكر له ابن النّديم: كتاب طبقات الشعراء، وكتاب الفاصل في مُلح الأخبار والأشعار، وبيوتات العرب، وزاد ياقوت كتاب غريب القرآن. ويبقى كتابه طبقات الشعراء أو فحول الشعراء أشهرها طراً وبه ذاع صيته في الآفاق قديماً وحديثاً.

التعريف بكتاب طبقات فحول الشعراء

يعتبر هذا الكتاب أول محاولة جادة تمثلت في جمع شتات آراء سابقه ومعاصريه في النقد العربي وتنظيمها تنظيمًا علميًا، وكان بذلك واضع أول لبنة في النقد العربي.¹ كما يعتبر أول كتاب في النقد وصلنا كاملاً، وكان النقد قبله عبارة عن انطباعات وجمل وفقرات متناثرة في بطون الكتب.

يعدّ كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام من أقدم كتب النقد الأدبي، التي عُيّنت بالشّعْر والشّعراء، ويعدّ صاحبه أول ناقد خصّ تراثنا الشعري القديم بدراسة مستقلة، وقد قسمه صاحبه إلى قسمين: القسم الأول؛ المقدمة وتحتوي على قضايا نقدية مهمة، تكشف عن مفهوم الشعر في ذلك

¹ قصي الحسين: النقد الأدبي عند العرب واليونان معاملة وإعلامه المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان ط1، 2003، ص290.

العصر وطبيعته، ونقد الرواية وتحقيق النصوص [الانتحال] وتاريخ نشأة الشعر وعلوم العربية عند العرب.

ذكر بن سلام في مقدّمة كتابه أهمية الكتاب وغايته ومنهجه، قال: " ذكرنا العرب وأشعارها، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها وأشرافها وأيامها، إذ كان لا يحاط بشعر قبيلة واحدة من قبائل العرب، وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها، فاقتصرنا من ذلك على ما لا يجهله عالم، ولا يستغنى عن علمه ناظر في أمر العرب، فبدأنا بالشعر."¹

لقد كشف ابن سلام في مقدّمته أنّه لا يهدف بعمله هذا إلى جمع أشعار القدماء والحديث عن أخبارهم وأيامهم فقط، ولكن هدفه تخليص ذلك الشعر مما علق به من شوائب، وما أضيف إليه من مصنوع، والتنبيه كذلك على مكانة كل شاعر ومنزلته بين شعراء عصره.

أما القسم الثاني من الكتاب فقد سعى ابن سلام إلى جمع شتات مشاهير الشعراء وجعلهم في طبقات تبين مكانتهم، فتطلّب منه ذلك تحليل النصوص ليظهر جمالها الفني ويعلل قصورها، ثم انصرف إلى الشعراء أنفسهم، فذاكر لهم ما يراه جيدا، من دون أن يذكر أسباب تلك الجودة في الغالب، واشتمل كتابه على 114 شاعرا جاء توزيعهم في الطبقات كالآتي:

01 . طبقات الشعراء الجاهليين: وهي عشرة، في كل طبقة أربعة شعراء.
02 . طبقات الشعراء الإسلاميين: وهي عشرة، في كل طبقة أربعة شعراء
03 . طبقة أصحاب المراثي: وتضم ثلاثة شعراء وشاعرة، هي الخنساء، وتعدّ المرأة الوحيدة التي أوردتها في طبقاته

04 . طبقة شعراء القرى العربية: وتضمّ اثنين وعشرين شاعرا، مقسّمون على النحو الآتي:

أ. شعراء المدينة خمسة، ثلاثة من الخزرج واثنان من الأوس.

ب شعراء مكة تسعة.

ج . شعراء الطوائف خمسة.

د . شعراء البحرين ثلاثة.

هـ . طبقة شعراء اليهود وتشمل ثمانية شعراء.

نَبَّه ابن سلام على أنّ ذكره لشاعر قبل أقرانه في الطبقة الواحدة لا يعنى أنّه أعلاهم مكانة، وأنّه المُقَدَّم على بقيّة شعراء الطبقة؛ بل إن هذا الأمر لا يخضع لأيّ معيار نقدي، إذ لا بدّ أن يبدأ بذكر أحدهم.

لم ينكر ابن سلام جهود سابقه ونظراتهم في الشعر والشعراء، بل يكاد الاعتماد على آراء أهل العلم والخبرة أن يكون أهم مقاييس الجودة عنده. إذ نجده، في كثير من الأحيان، عندما يوازن بين شعراء الطبقة الواحدة، أو بين شاعر وآخر داخل الطبقة الواحدة، يورد رأى العلماء فيهم ويختار من شعرهم ما يؤكد هذا الرأي أو ذاك، ولا يبيّن رأيه، أو ينفرد برأي إلاّ في مواطن قليلة.

طبقات الكتاب ومخطوطاته

طبع كتاب ابن سلام في عدّة طبقات، وأشهرها اعتمده أهل العلم هي

أ - طبعة يوسف هل

ظهرت باسم طبقات الشعراء لأول مرة بمطبعة بريل بمدينة ليدن بين 1913م و1916م. بمقدمة ألمانية. واعتمد هل في إخراجه للكتاب على نسختين من كتب محمد محمود بن التلاميذ التركي الشنقيطي، ثمّ تکرّر طبع الكتاب.

. النسخة الأولى: محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم 36 أدب ش. كتبت سنة 1303 هـ نقلا عن نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف بك بالمدينة المنورة .

. النسخة الثانية: محفوظة تحت رقم 37 أدب ش، وكتبت سنة 1310 هـ ، وهي منقولة عن نسخة المدينة المنورة كذلك.

وقد تعرضت هذه الطبعة لنقد لاذع لسقوط يوسف هل في خلط وتصحيف كبيرين سواء في تسمية الكتاب أو في تمحيص الأخبار وترتيبها والتعليق عليها.

. طبعة جديدة لنسخة يوسف هل بدار الكتب العلميّة. بيروت. سنة 2001. بها دراسة عن الكتاب والمؤلف للأستاذ طه أحمد إبراهيم.

ب - طبعة حامد عجمان الحديد الكتبي

صدرت عن مطبعة السعادة سنة 1920م. اعتمد في إخراجها على النسخة الأوروبية والمخطوطين سابقى الذكر، وقد أعيد طبع هذه النسخة مرات.

ج - طبعات محمد محمود شاكر

. الطبعة الأولى: صدرت هذه الطبعة من الكتاب تحت عنوان "طبقات فحول الشعراء" عن دار المعارف سنة 1952م. واعتمد فيها على الكتابين السابقين وما نقله في أيام شبابه عن المخطوطة الأصلية، وهو قدر يسير حوالي 69 ورقة، وكان عمره آنذاك سبع عشرة سنة، ولكنّه عندما اشتدّ عوده لم يرض عن هذه الطبعة وقرّر إعادة طبعتها أخرى بعد تصحيحات ومراجعات، قال عن هذه الطبعة في مقدمة الطبعة الثانية لسنة 1974م: "تعثّرت فيها تعثرا لا يغتفر، ومن أجل هذا فأنا لا أحلّ لأحد من أهل العلم أن يعتمد بعد اليوم على هذه الطبعة الأولى من طبقات فحول الشعراء مخافة أن يقع في زلل لا أرضاه له."¹

. الطبعة الثانيّة: صدرت عن دار المعارف سنة 1974م. ولقد كان لمجموعة من العلماء فضل كبير في تصحيح الكتاب والتعليق عليه بما أفاد الكتاب ومحقّقه كما يقرّر هو نفسه ذلك في مقدمته.

وفي إخراجها لهذه الطبعة اعتمد محمد محمود شاكر على:

. جزء منقول عن المخطوطة الأصلية: وهو جزء نقله بخطّه، وسبق الحديث عنه، وهي مخطوطة أتى بها السيد أمين الخانجي الكتبي بعد رحلته إلى العراق سنة 1343هـ، ونظرا لتعامل محمود شاكر معه

أمره بترتيب أوراق المخطوطة المتأكلة ونقلها وإرجاعها، غير أنّ ظروفه أضعفت عليه جزءا نفيسا، إذ لم ينقل إلا 69 ورقة احتفظ بها واعتمد عليه في نشر الكتاب أول مرّة.

. نسخة ثانية مصورة من المخطوطة الأصلية: إذ بعد طبع الكتاب طبعته الأولى سنة 1952م، واكبت ظهوره حملة صحافية تباينت بين التعريف بالكتاب والانتقاد له، وصدف أن وصلته، وقتذاك، رسالة من أستاذه عبد العزيز الراجكوتي يذكر فيها أنّ مقالة للمستشرق الإنجليزي أبري صدرت في مجلة فيها قراءة جديدة لكتاب الطبقات، وعن طريق المراسلات كتب حكايته لأحد أصدقائه الدكتور محمد رشاد سالم، وكان الأخير يومها تلميذا لأبري في إنجلترا، فعلم منه أن بحوزته النسخة الأصلية التي نقل عنها الجزء اليسير، والتي كانت في حوزة الكتبي أمين الخانجي، فاستطاع بذلك أن يحصل منه على نسخة مصورة. وكانت المخطوطة موجودة آنذاك بمكتبة تشسترتي بايرلندا، وتحتوي في كاملها على 114 صفحة في الأصل، ولم يبق منها إلا 76 ورقة للاطلاع. وحسب معهد إحياء المخطوطات فإن خطها مشرقى يرجع إلى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري، وأما كتابتها فضبطت بحركات، لكنّها مليئة بأخطاء كثيرة، وفي الهوامش استدراك لما سها عنه الكاتب وبخطه. وكانت النسخة عتيقة رُجِح تاريخ كتابتها بالتقريب إلى ما قبل 336هـ، واسم كاتبها محاه البلل.¹

. المخطوط الثاني أو ما سمّاه الشارح بنسخة المدينة، ورمز له بالحرف م: هي نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بالمدينة المنورة، مختصرة وبها بتر، مجموع أوراقها 83 ورقة إذا حذف ما زيد في آخرها أي 3 أوراق، بها دعاء وفهرست لشعراء الطبقات بخط مغاير للأصل، وهي إما لقارئ ما أو مالك النسخة إضافة إلى 9 أوراق مفقودة ليبقى من النسخة 71 ورقة بخط مشرقى فيه شبه إلى المغربى يرتفع إلى أوائل القرن الخامس الهجري حسب تقدير المعهد سالف الذكر، وهو مضبوط بحركات، إملاؤه جيّد² ... إلى تفصيلات أخرى في وصف هذه المخطوطة ذكرها شاكر في مقدمة الطبعة الثانية.

1

2

نبذة موجزة عن ابن قتيبة

أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم بن قتيبة الدينوري من مواليد بغداد سنة 213 هـ. أديب و فقيه ومؤرخ ومحدّث فقيه محدث، صاحب المصنّفات العديدة في مختلف العلوم، ومن أشهرها عيون الأخبار، وأدب الكاتب والشعر والشعراء وغيرها.

كان عالماً باللغة العربية والشعر، كثير الرواية عن الأصمعي، أخذ الحديث عن أئمة المشهورين وفي مقدمتهم إسحاق بن راهويه، وأخذ اللغة والنحو والقراءات على أبي حاتم السجستاني، وعن أبي الفضل الرياشي، تتلمذ على عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، وحرملة بن يحيى، وأبي الخطاب زياد بن يحيى الحساني، وغيرهم. وسكن الكوفة ثم ولي قضاء الدينور فترة فنسب إليها.

كتاب الشعر والشعراء

يعد هذا الكتاب من أهم الكتب النقدية في القرن الثالث بعد طبقات ابن سلام، وأهم ما يميزه هو منحاه في النقد، فقد احتوى كتابه على مقدمة نقدية جيدة تعد من بواكير النقد الأدبي، واقتصره على مشاهير الشعراء دون غيرهم، ويختلف عن طبقات ابن سلام كونه يترجم للشعراء مراعيًا التسلسل الزمني¹. وما يهم هو مقدمته النقدية التي احتوت على قضايا مهمّة نذكر منها رأيه في اللفظ والمعنى، الحياد في الحكم على الشعر والشاعر، بناء القصيدة وثقافة النقد، والحالات النفسية وعلاقتها بالشعر، الطبع والتكلف، القديم والحديث.

وكتاب الشعر والشعراء من أقدم الكتب التي وصلتنا وعني أصحابها بتراجم الشعراء، وخاصّة الشعراء الذين يكثر العلماء من الاستشهاد بأشعارهم في علوم اللغة والتفسير والفقه وما إلى ذلك.

¹ ينظر: عبد الطيف صوفي: مصادر الأدب في المكتبة العربية، دار الهدى، الجزائر، 1994، ص 38.

ترجم ابن قتيبة للشعراء العرب وأزمانهم وأقدارهم، وأحوالهم في أشعارهم وقبائلهم وأسمائهم وأسماء آبائهم، ومن كان يعرف منهم بالكنية أو باللقب، وما يستحسن من أخبار الشعراء وما يستجد من شعره. وفي المقابل لم يترجم للمغمورين إلا في النادر، أي حين يستشهد بأشعارهم.

بدأ الكتاب بالشعراء الجاهليين وانتهى إلى أوائل القرن الثالث، وساوى في نقده بين القدماء والمحدثين، وعماد المفاضلة بينهم هو شاعريّة كل واحد دون اعتبار للسّبق الزمني أو الحدّثة والقدم. ويغلب على هذا الكتاب طابع التراجم لا الطّبقات.

طبقات الكتاب

. طبع كتاب أول مرّة في ليدن سنة 1875.

. وطبع طبعته الثانية بعناية المستشرق د يغويه سنة 1902 م، وهي طبعة نادرة تكاد أن تكون في حكم المخطوط.

. طبع بمصر سنة 1904 م واعتمدت هذه الطبعة على طبعة ليدن.

. طبع بمطبعة الفتوح الأدبية في مصر سنة 1914 م.

. طبع بمطبعة المعاهد المصرية، المكتبة التجارية سنة 1927 م بعناية محمود توفيق تصحيح وتعليق مصطفى السقا. وهي طبعة ناقصة عليها الكثير من الملاحظات.

. طبع في مطبعة البابي الحلبي سنة 1932 م.

. وطبع في دار إحياء الكتب العربيّة سنة 1950. بتحقيق أحمد محمد شاكر، وأعيد طبعه سنة 1966 م.

. طبع بدار الثقافة في بيروت سنة 1964 م وهي طبعة محققة.

مخطوطات الكتاب

ممّا تيسّر لي الإطلاع عليه من مخطوطات هذا السّفر النفيس أربعة، وقد تكون ثمّة أخريات سنذكرها مستقبلاً إن شاء الله،

. ثلاث مخطوطات بدار الكتب [03] القاهرة.

الأولى تحت رقم 550 أدب وهي مخطوطة رجع إليها دي غويه في طبعته المذكورة.

والثانية تحت رقم 4247 أدب لم يرجع إليها دي غويه لأنها لم تكن يومها موجودة بالدار.

الثالثة تحت رقم 9160 أدب.

. مخطوطة مكتبة الأزهر تحت رقم 6885 أدب.

موضوعات الكتاب

سبقت الإشارة إلى أنّ الكتاب ينقسم إلى قسمين الأول منهما هو المقدمة، والثاني عبارة عن تراجم مشاهير الشعراء.

ففي المقدمة تحدث عن قيمة اللفظ والمعنى، وقسم الشعر على هذا الأساس إلى أربعة أضرب وقرّر أنّ ركني الشعر هما اللفظ والمعنى.

ذكر أنّ اللفظ والمعنى ليسا كل شيء في الشعر، وأنّ ثمة أموراً أقرب إلى روحه فتحدث عن الوجوه التي يختار عليها الشعر ويحفظ جاعلاً الجودة في اللفظ والمعنى أساساً للمفاضلة بين الشعراء. شارك النقاد في تخليص الشعر مما قد يعلق به من العيوب التي تقلل من قيمته الفنية، وكان حديثه عن لغة الشعر من أهم لفتاته الفنية، فقد حرص على فصاحة لغة الشعر والارتقاء بها عن سقط الكلام وحوشيه وغلظته.

تناول ابن قتيبة قضية المتكلف والمطبوع من الشعر وبين أمارات الشعر المتكلف فأجاد، وكانت خطوته تلك موفقة تدل على قدرته الأدبية وسعة علمه حيث جعل تلك الأمارات واضحة يعرفها كل من له علاقة بصناعة الشعر.

تحدّث عن قضية القديم والجديد في الشعر وحدد موقفه من هذه القضية، فقرّر أنّه يقدر الشعر بمقدار بلاغة القول بصرف النظر عن سائر الاعتبارات الأخرى، وكان موقفه في ذلك يتمثل في الانتصاف للحديث من أنصار القديم.

أما السرقات الشعرية فقد كانت إحدى قضايا النقد العربي على عصره، لذلك تحدّث عنها لكنّه تناولها بطريقة تختلف عن طرق معاصريه، فقد عرضها في ثنايا كتابه عرضاً مقتضباً، نستشفّ منه أنّه كان يقدر كل معنى مبتكر لم يسبق إليه الشاعر.

أما في القسم الثاني من الكتاب فقد تحدث ابن قتيبة الشعراء، ونلمس من دراسته لهم أنّه تناول في تلك الدراسة جانبين مهمين، أولهما الجانب العلمي،، عندما ذكر أنه تناول المشهورين من الشعراء "الذين يقع الاحتجاج بشعرهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله، عز وجل، وحديث رسول الله ﷺ". والجانب الثاني في ويتمثل في ترجمته للشعراء المحدثين الذين لا يقع الاحتجاج بأشعارهم وتقديره الشعر من ناحية جودة الكلام.

نبذة موجزة عن الجاحظ

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري، أديب عباسي كبير، بل ومن كبار أئمة الأدب في عصره، ولد في البصرة سنة سنة 159 هـ وبها توفي عام 255 هـ. لُقّب بالحدقي ولكنّ اللقب الذي التصق به أكثر، وبه طارت شهرته في الآفاق هو الجاحظ، عمّر طويلاً، وترك كتباً كثيرة بعد وفاته، كتب في علم الكلام والأدب والسياسية والتاريخ والأخلاق والنبات والحيوان وغيرها، لكن يبقى كتابا البيان والتبيين وكتاب الحيوان أشهر كتبه طرّاً لذلك سنحاول تسليط بعض الضوء عليهما.

التعريف بالبيان والحيوان

يعد كتاب الحيوان وكتاب البيان والتبيين من أواخر مؤلفات الجاحظ، فكتاب الحيوان من أعظم كتبه، وأجلّها شأنًا، فقد حوى إلى جانب التعريف بالحيوان وكل ما يتعلق به موضوعات كثيرة تتصل بالفلسفة والعلوم الطبيعية والأدبية.

أما البيان والتبيين ففي جملته يتكلم عن البيان والبلاغة والخطابة العربية والشعر العربي، وقد وضعه الجاحظ في ثلاثة أجزاء.

والأفكار النقدية مبثوثة في الكتابين وفي بعض الرسائل أهمها ماهية الشعر وجوهرة، ومصدر الشعر والسرقات الشعرية، وموضوعية النقد الأدبي، والشعر والطبع، وبناء لغة الشعر وغيرها من القضايا¹.

ذكره العسكري في كتابه الصناعتين عند حديثه عن كتب البلاغة، قال: " وكان أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، وهو لعمرى كثير الفوائد، جمُّ المنافع، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة، والفقر اللطيفة، والخطب الرائعة، والأخبار البارعة، وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء، وما نبّه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة، وغير ذلك من فنونه المختارة، ونعوته

¹ عيسى علي العاكوب: التفكير النقدي عند العرب، مدخل إلى نظرية الأدب العربي، دار الفكر المعاصر، لبنان، ط1، 1997، ص 137 وما بعدها.

المستحسنة. إلا أنّ الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة، ماثوثة في تضاعيفه، ومنتشرة في أثنائه، فهي ضالّة بين الأمثلة، لا تُوجد إلا بالتأمل الطويل، والتصفّح الكثير.¹

وقال فيه ابن خلدون وهو من كبار علماء المغرب الإسلامي: " وسمعنا من شيوخنا في مجالس التّعليم، أنّ أصول هذا الفنّ وأركانه أربعة دواوين، وهي؛ أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للمبرّد، وكتاب البيان والتّبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي. وما سوى هذه الأربعة فتبّع لها، وفروع عنها."²

منهج الجاحظ في كتابه البيان والتّبيين

لم يلتزم الجاحظ في البيان والتّبيين منهجا محدّدا، ولم يتقيّد بنظام محدّد، لذلك تجده يبدأ الحديث عن قضية ما أو ظاهرة معيّنة ويسترسل به الحديث فيخرج إلى أخرى وقد لا يعود إليها إلا بعد صفحات وصفحات، وهذا السبيل كان سبيل الكثير من القدماء، سواء الذين عاصروه أو الذين جاؤوا من بعده. وقد حاول الاعتذار عن ذلك في بداية كتابه، قال: " وكان في الحقّ أن يكون هذا الباب في أوّل الكتاب، ولكنّا أخّرناه لبعض التّديير."³

لذلك جاءت مادّة الكتاب غير منظّمة ولا مرتّبة، ويحتاج الطّالب إلى من يوجّهه ليستفيد من الكتاب أحسن استفادة، ومع هذا يمكن تلخيص موضوعات الكتاب ومباحثه في الآتي:

. البيان والبلاغة.

. القواعد البلاغيّة.

. القول في مذهب الوسط.

. الخطابة.

. الشعر.

¹ العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل، أبو هلال. كتاب الصناعاتين، الكتابة والشعر. ط 01. 1320 من مقدمة المصنف ص 05.

² ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، ولي الدين. مقدمة كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. قرأه وعارضه بأصول المؤلف وأعدّ معاجمه وفهارسه إبراهيم شيوخ. دار القيروان للنشر. تونس. 2007. 02. 489.

³ البيان. 76/01.

الأسجاع.

نماذج من الوصايا والرّسائل.

طائفة من كلام النّسّاك والقصّاص وأخبارهم.

. عرض لبعض كلام النّوكي والحمقى ونواديرهم.

ضروب من الاختيارات البلاغية.¹

نسخ الكتاب المخطوطة

ذكر الأستاذ عبد السلام هارون في مقدمة تحقيقه لكتاب البيان أنّه توافرت له أربع نسخ من الكتاب وهي:

01. نسخة مكتبة كويريلي ، وهي محفوظة بدار الكتب المصريّة 4370 أدب. قال عنها: " وكان من صنع الله حينما اتّجهت إلى معارضة أصول الكتاب بعضها ببعض أن تبين لي في أثناء ذلك أن نسخة مكتبة كويريلي هي أصحّ نسخة من أصول الكتاب، ولحظت أيضا أنّها كثيرا ما تنفرد ببعض النصوص والعبارات، التي لا توجد في سائر النسخ، أو توجد ولكن بعبارة أخرى مخالفة. كما أنّ سائر النسخ كثيرا ما تتفق في ذكر نصوص وعبارات لا نجدها في نسخة كويريلي ، أو نجدها ولكن بصورة أخرى. ومهما يكن من شيء فلا ريب عندي أنّ نسخة كويريلي هي أصحّ النسخ وأوثقها وأوفرها نصّا، ونستطيع أن نترجم هذا بأنّ القائم لدينا من أصول الكتاب نسختان: إحداهما نسخة كويريلي، والأخرى ما عداها من النسخ التوائم التي قلّما تشدّد واحدة منها عن الأخرى." ² ولعلّ هذا تصديق لقول صاحب الفهرست: " كتاب البيان والتبيين، هذا الكتاب نسختان أوله وثانيه، والثانية أصحّ وأجود." ³ وقول ياقوت الحموي من

¹ ينظر في تفصيل هذه القضايا مقدمة عبد السلام هارون لكتاب البيان والتبيين. 01/07 وما بعدها.

² البيان. 01/ من مقدمة المحقق 01/16 . 17 . 18.

³ النديم: محمد بن اسحاق. الفهرست. تحقيق رضا تجدد. 1971. ص 210.

بعده: " وكتاب البيان والتبيين أولى وثانية، والثانية أصح وأجود"، فتكون النسخة الثانية هي نسخة كويريلي بينما تشكل النسخ الثلاث الباقيات النسخة الأولى.

02. نسخة دار الكتب المصرية محفوظة تحت رقم 471 أدب.

03. نسخة دار الكتب المصرية محفوظة تحت رقم 1872 أدب.

04. نسخة المكتبة التيمورية محفوظة برقم 498.

05. بعد طبع الكتاب عثر المحقق على نسخة خامسة جليها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية من مكتبة فيض الله بالآستانة، ورقمها في المكتبة هو 1580 ورقمها في المعهد 887. وذكر في مقدمة الطبعة الثانية أنه عارض ما عنده عليها واستفاد منها.²

طباعات الكتاب

قدّم عبد السلام هارون في مقدمة تحقيقه لكتاب البيان والتبيين جردا بالطبعات التي سبقت طبعته وهذا عرض موجز لما ذكره:³

. الطبعة الأولى: بالمطبعة العلميّة من سنة 1311 . 1313 بعناية حسن فكري الفاكهاني والشيخ محمد الزهري الغمراوي. وهي طبعة مجردة من الضبط وبها تعليقات يسيرة.

. الطبعة الثانية: بمطبعة الفتوح ومطبعة الجماليّة 1332 بإشراف محب الدين الخطيب.

الطبعتان الثالثة والرابعة: في سنوات 1345 . 1351 صنع حسن السندوبي. والطبعة الرابعة أحسن من الثالثة.

. وطبع بمطبعة الجوائب 1301 ثم بمطبعة الرغائب 1328 كتاب عنوانه منتخبات من البيان والتبيين.

. وطبع بمطبعة بيت المقدس سنة 1933 م كتاب آخر عنوانه مختار البيان والتبيين باعتناء الأديبين: خليل بيدس وشريف النّشاشيبي.

¹ الحموي: ياقوت الرومي. معجم الأديباء. إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب. تحقيق إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي . ط 01 . 1993. ج 05 ص 2118.

² انظر البيان. 01 / 23 مقدمة ط 02.

³ البيان. 01 / من مقدمة المحقق 01 / 19 . 20.

نبذة موجزة عن ابن طباطبا

أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن طباطبا القرشي، من نسل الحسن بن عليّ بن أبي طالب. من مواليد أصبهان وبها نشأ، ولم يغادرها قطّ، أخذ العلم والأدب عن أئمّتها وعلماءها، وكانت وفاته عام 322 هـ. كان ابن طباطبا العلويّ شاعرا وكاتباً وناقداً، ومؤلفاً. له من الكتب كتاب عيار الشعر وهو أشهرها، جعل فيه مقدّمة موجزة في نقد الشعر، وهو يصرّ على أهميّة استكمال عدّة الشعر قبل نظمه و على ترديد النظر فيه بالتنقيح بعد نظمه. وله أيضا من الكتب: تهذيب الطبع، كتاب العروض، المدخل إلى معرفة المعنى من الشعر، كتاب في تقريظ الدفاتر.

وصف الكتاب

يعتبر كتاب عيار الشعر حلقة متمّمة لما جاء به ابن قتيبة وهو مقسم إلى قسمين أساسيين، مقدمة ومتمن، فمقدمته تشبه مقدمة كتاب الشعر والشعراء لأنّ فيها أشياء كثيرة عن النقد الأدبي⁽¹⁾، وتدور حول أربعة موضوعات هي تعريف الشعر، صنعة الشعر، فنون الشعر العربي وأساليبه ثم عيار الشعر ويقصد به الوسائل التي يعرف بها جيد الشعر من رديئه.

كما تكلم عن التشبيه وأدواته ومعاني الشعر والوحدة العضوية والخلق الشعري ومراحلته والسرقة الشعرية والصدق وأنواعه وثقافة الشاعر، وحسب له كذلك اهتمامه بجماليات التلقي في الفن الشعري، " وهذه رؤية جمالية متقدمة كثيرا بالقياس إلى عصرها."²

مخطوطات الكتاب

ذكر بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي أنّ ثمة نسخة مخطوطة لعيار الشعر في الأسكوريال تحت رقم 2 / 328. وذكره السيوطي في شرح شواهد المغني 276 س 6.¹

¹ إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني إلى القرن الثامن الهجري، دار الثقافة، بيروت، ط 2، 1978، ص 123.

² عيسى علي العاكوب: التفكير النقدي عند العرب، ص 197.

تمّ تصوير نسخة عن هذا المخطوط من طرف معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية في القاهرة.

طبغات الكتاب وتحقيقاته

طبع الكتاب محققاً طبغات عديدة نذكر منها:

. الطبعة الأولى بدار منشأة بالقاهرة سنة 1952 بتحقيق د. طه الحاجري ومحمد زغلول سلام.

. طبعة سنة 1956 تحقيق محمد زغلول سلام.

. طبعة دار الكتب العلميّة بيروت سنة 1982 بتحقيق عباس عبد الستار ومراجعة نعيم زريزر.

. طبعة دار العلوم بالرياض سنة 1985 بتحقيق الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع.

قيمة الكتاب

يعدّ عيار الشعر من أهم الكتب النقدية في القرن الرابع هجري، حيث أحدث ابن طباطبا به ثورة على من سبقوه، وقد وصف ذلك الدكتور جهاد المجالي بالقول: " من ألفوا في النقد بعد القرن الثالث ثاروا على نظام الطبقات كابن شرف، وابن طباطبا،² حيث كان الشعر في أوجّه، وفي مقابله اتسع مجال النقد المتصل به، ليصير للنقد مسار جديد بعد أن كان النقاد فريقين: الأول لغوي يختص بقضايا الوزن والقافية والإعراب وغيرها، والثاني أدبي يركز نقده على فنّيّة الشعر وحسن التخلص والجانب البلاغي، يأخذ كتاب عيار الشعر مذهبا توجيهيا تعليميا يجمع بين ما يدعو إليه الفريقان.

وأهمية طرح ابن طباطبا النقدي تثبت نفسها بمنهجه المتفرد وطريقته في مجال النقد التي تم اعتبارها إضافة يعتز بها مؤرخو القرن الرابع هجري حتى أن منهم من ذهب إلى تفضيله على " الشعر والشعراء " لابن قتيبة و" البديع " و " طبقات الشعراء " لابن المعتز و " قواعد الشعر " لثعلب و " نقد الشعر " لقدماء بن جعفر، لأن صاحبه شاعر يقول الشعر ويعانيه، في حين أن غيره، عدا ابن المعتز، علماء

¹ بروكلمان: كارل: تاريخ الأدب العربي. ترجمة عبد الحلیم النجار، دار المعارف بمصر. ط. 04. د ت. 100/02.

بالشعر، وأكثرهم علماء فقه. ويشهد له كبار المفكرين والكتاب والنقاد إلى اللحظة ببراعته ورتقي ذوقه وفطنته وهو ما جاء على لسان المرزباني مشيدا بمصنف عيار الشعر يقول: "هناك محاولة ابن طباطبا في عيار الشعر هي من أشد المحاولات النقدية أصالة وأكبرها عمقا".¹

ومن المحدثين قال عنه أحمد بدوي: "إنّ ابن طباطبا ناقد موضوعي، يرى للجمال أسبابا يمكن التماسها ومعرفتها، وللقبح أسبابا كذلك".² ويضيف الدكتور أنس داود "ومن النصوص الهامة في الدلالة على أن نقاد العرب قد تنهوا إلى الحديث عن بناء القصيدة ودعوا إلى نوع من الوحدة الفنية، وهو ما ورد في كتاب عيار الشعر لابن طباطبا".³

فهذه الآراء المختلفة، من القدماء والمحدثين، تبين لنا مدى الاستحسان الذي لقيه ابن طباطبا وكتابه في الأوساط الأدبية والنقدية، وتبرر أهمية هذا الأثر النقدي الذي وصلنا من القرن الرابع هجري.

القضايا النقدية التي تطرق إليها ابن طباطبا في العيار

. المعركة بين القديم والحديث

المعركة بين القديم والحديث أمر تشهد به الحضارة العربية لنفسها منذ أن بزغ فيها نور العلم وتطورت آدابها وعلومها، وكان انحياز، في الغالب، في اتجاه الأصل أي القديم، وعبروا عن ذلك في مختلف مناحي حياتهم حتى في النقد منها. لكن ابن طباطبا العلوي وقف موقفا وسطا بين الاتجاهين، حيث عمد لذكر أشعار القدماء وكذا أشعار المحدثين في مواضع مختلفة من كتابه دون أن يوجه المتلقي بوضوح إلى تبيّنه لأحدها ولا انحيازه لأيّ منهما من دون مبرّر أو برهان،، قال: "أكثر ما يستحسن الشعر تقليدا على حسب شهرة الشاعر وتقدم زمانه وإلا فهذا الشعر أولى بالاستحسان والاستجادة من كل شعر تقدمه".⁴ وقال في موطن آخر: "وإذا تناول الشاعر المعاني التي سبق إليها فأبرزها في أحسن من الكسوة

¹ المرزباني .الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء. تحقيق وتقديم محمد حسين شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت. ص7

² ينظر:الدكتور أحمد أحمد بدوي "أسس النقد الأدبي عند العرب"، نهضة مصر للطباعة والنشر، 1996

³ أنس داود"دراسات نقدية"ص184

4

التي عليها لم يعب بل وجب له فضل لطفه وإحسانه.¹ فهو هنا يتحدث عن الشاعر المحدث والقديم، وهما عنده سواء لا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بما أحسن واجتهد فيه من شعر.

. عمود الشعر

يقصد بعمود الشعر تلك المعايير التي وضعت للشعر، وحرص الشاعر على ألا يخل بها ليجود شعره ويحسن، أي هو "تقاليد الشعر الموروث والمبادئ التي سبق إليها الأولون واحتداها من جاء بعدهم."² كان ابن طباطبا كثيرا ما يذكر المرزوقي مباشرة عند الحديث عن عمود الشعر؛ لأنه أول من وقف عند معاييره وعددها في سبع قواعد أساسية، والمتأمل في كتاب عيار الشعر وموقف صاحبه من هذه القواعد، يكتشف أنه لم يذكرها صريحة، لكنه أوردها مخبئة بين في ثنايا المفاهيم التي وظفها، لا تكاد تتوارى عن نظر الناظر البصير، بل ونجده يدافع عنها بقوة، حين تبتأها وأولى لسنن العرب في كلامها اهتماما بالغاً. وبالرجوع إلى القسم الأول من الكتاب يظهر لنا مدى عناية الناقد بمذاهبهم وسلوكهم ومنهجهم، في الوصف والخطاب والحكي والإيجاز، والإطناب والتشبيه وغيرها من الأمور التي تجتمع تحت راية عمود الشعر. كما نجده يؤكد طريقة القدماء هي أنسب ما يمكن للمحدثين إتباعه، إن أرادوا تجويد أشعارهم، وذلك بإحالتهم على اقتباس الأفكار والموضوعات منهم، والأمثلة والشواهد على ذلك كثيرة في العيار.

قضية اللفظ والمعنى

وهي قضية شغلت الدرس النقدي القديم، إذ انصرف إلى تحليل أبعادها والحديث عنها أهل العلم بالأدب، فتباينت الآراء واختلفت، ولكن كيف طرحها ابن طباطبا كتابه.

يقول ابن طباطبا بثنائية اللفظ والمعنى، فيؤكد أن علاقة اللفظ بالمعنى كعلاقة الجسد والروح، ولكن يمكن في هذه العلاقة لجانب أن يستغني جانب عن الآخر، مع ميله في شرحه إلى القول بضرورة التكامل بينهما، وهو تناقض صارخ عنده، يتبين لنا في جملة عناوين لبعض فقرات الكتاب ومنها: "الألفاظ حسنة

1

2

الألفاظ واهية المعاني“ وغيرها من العناوين التي تدعونا للتساؤل عن المفهوم الحقيقي للفظ والمعنى في نظره وكيف يتصورهما. وقد أوقعه هذا الموقف في حيرة لذلك قسّم الشعر إلى أضرب مختلفة.

قضية الصدق والكذب

وهي قضية مهمّة شغلت ابن طباطبا كغيرها من القضايا السابقة، وقد أخذت هذه المسألة حيزا واسعا من اهتمام الدارسين والباحثين ليحفظوا للشعر الجاهلي خصوصيته، ويتأكدوا من المرحلة التي تنتهي إليها الأشعار التي وصلتنا،

كانت مسألة الصدق مطلبا إجباريا على الشاعر تحريه في شعره في نظر الناقد، لذلك رفض ابن طباطبا أن يكون الشعر بما لا يعيشه الشاعر في واقعه ولا يخالج نفسه، فطالبه ب: الصدق الأخلاقي والصدق النفسي والديني وغيرها من الأنواع التي قسمها ووضح المراد منها، حتى تكون التجربة الشعرية واقعية بلا اصطناع يفقد المعاني قوة تأثيرها، فلم يقبل منه التشبيهات البعيدة ولا وصف الأمر بما ليس له في الأصل، وشدّد الخناق على الشاعر في هذه القضية أكثر من تركيزه على الشعر في حد ذاته.

قضية السرقات

وقف ابن طباطبا من هذه القضية موقف المحايد، فهو يرى بأن القدماء قد استنفدوا ما كان من معاني وأبدعوا لأقصى الدرجات في صوغها والتفنّن في نظمها، ولم يترك السّابق منهم للاحق معنى إلاّ وقال فيه شعرا، فأشفق على حال المحدثين ورفع عنهم الحرج وأخرجهم من أزمتهم كونهم سُبِقوا إلى كل معنى بديع، ولفظ فصيح.

وكمخرج لذلك أرشد ابن طباطبا الشعراء إلى العودة لأشعار القدماء ويستنبطوا منها المعاني ويصوغوها شريطة أن لا تكون في نفس الغرض حتى لا يكونوا قد سطوا عليها، وذلك إلى حين يصبح لهم طبع كطبع القدماء فيستطيعوا السير لوحدهم.

وفي الختام فهذه بعض الجوانب التي تتعلّق بكتاب عيار الشعر، وقد كشفت لنا هذه القضايا غناه وقيّمته النقديّة العالِيّة، وأكّدت صفة النقد للناقد والنقدية للكتاب، رغم ما شاب الموضوع من تناقض نوعا ما، ومن عشوائية في العرض، إلا أنه لبنة اكتملت بها صورة مسار النقد العربي في هذا القرن.

نبذة عن المبرد

محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، لُقّب بالمبرّد لحسن وجهه وجوابه، ولد بالبصرة نحو سنة "210هـ، عاش المبرّد في القرن الثالث الهجري، وعاصر الكثير من خلفاء الدولة العباسية الذين اهتموا بالعلم والعلماء "كالمثوكل"، وتلقى العلم على عدد كبير من أعلام عصره منهم: ابن إسحاق الجرمي، والمازني الذي وصفه المبرد بأنّه كان أعلم الناس بالنحو بعد سيبويه، كما تردد على "الجاحظ"، حتى عُدّ من شيوخه، وأخذ عن السجستاني والتوزي، وكان المبرّد مُلماً بالعديد من العلوم البلاغية والنقدية والنحوية؛ لغيرته الشديدة على قوميته العربية، فألّف العديد من الكتب في اللغة وآدابها ومن أهمها وأبرزها كتاب الكامل في اللغة والأدب الذي سيأتي الحديث عنه تالياً.

التعريف بالكتاب

كتاب الكامل للمبرد يعدُّ كتاب الكامل من أهمّ كتب المبرّد، وأكثرها شيوعاً بين الناس، فهو أحد أركان الأدب الأربعة التي ذكرها ابن خلدون في مقدمته بقوله: "وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين: وهي أدب الكتاب لابن قتيبة، كتاب الكامل للمبرد، كتاب البيان والتبيين للجاحظ، كتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها". وقد قال فيه القاضي الفاضل "طالعه سبعين مرة، وكل مرة أزداد منه فوائد". وقد جعل المبرّد من الكامل في اللغة والأدب مرجعاً مهماً يكشف ثقافته الواسعة وخلفيته المعرفية وذاخيره الفكرية، التي جعلت منه عالماً فذاً وبوآته مكانة عظيمة في حقل الأدب، وكتابه هذا دليل على ذلك؛ لاحتوائه على ذخائر كثيرة تنوعت في جل صفحات الكتاب ميزته عن باقي المتون الأخرى. هذا ويعدُّ الكامل في اللغة والأدب من أمتع كتب العربية؛ فهو ينقف النفس، ويهذب الروح، ويصقل العقل، ويوسع الأفق، وينمي في الإنسان ملكة حب المعرفة.

طبقات الكتاب

المعروف عند القدماء أنّ الكامل للمبرّد أحد أصول علم الأدب، لذلك تولى خدمته؛ طباعة وتحقيقا، الكثير من أهل العلم، وقد للكتاب طبعات عديدة ومختلفة نذكر منها:

. طبعة المستشرق وليم رايت في ليبزك وهي في عشرة أجزاء صدرت بأجزائها العشرة خلال عشرة أعوام أي في الفترة الممتدة [1864 . 1874 م] ثم ظهرت الفهارس سنة 1882 م، صدر بعدها بعشر سنوات 1892 م جزء، باللغة الأنجليزية مع تعليقات بالألمانية، فيه تعليقات واستدراكات على ما نشر ومعارضته على نسخ أخرى. كتب مقدمة هذا الجزء المستشرق دي غويه لأنّ رايت كان يومها قد توفي عام 1888 م. . طبعة القسطنطينية عام 1869، وتزامن ظهورها مع نشر وايت لطبعته، فعارضها في حواشيه على الكتاب، وأثبت ما فاته منها في جزء التعليقات.

. طبعات القاهرة

أ. المطبعة الخيرية 1308 هـ . 1313 هـ . 1323 هـ . 1324 هـ

ب . مطبعة التقدم سنة 1339 هـ وطبع بهامشه مجموعة من الفصول المختارة من رسائل الجاحظ.

ج . مكتبة مصطفى البابي الحلبي 1927 م . 1933 م حقق جزء منها الدكتور زكي مبارك وأكمل

تحقيقها أحمد محمد شاكر ثم صنع فهارسها سيّد كيلاني.

. طبعة مكتبة المعارف ببيروت.

. طبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر بالقاهرة سنة 1956 م، وهي بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

والسيّد شحاته

. وأفضل طبعاته هي تلك التي بتحقيق محمد أحمد الدّالي والتي أخرج طبعتها الأولى عام 1986 ولقيت

قبولا واستحسانا من الدّارسين.

مخطوطات الكتاب

لكتاب المبرد مخطوطات كثيرة متفرقة في الكثير من المكتبات منها:

. مخطوط دار الكتب الظاهرية بدمشق وهي تحت رقم 6958.

. نسخة ثانية بدار الكتب الظاهرية بدمشق وهي تحت رقم 7816.

. نسخة لبيزج وهي التي نشرها رايت.

موضوعات الكتاب

يتكوّن كتاب الكامل من جزأين، استهلها الكاتب بمقدمة مختصرة وضّح فيها منهجه ومقصده فيه، وبعد ذلك رتب المبرد كامله على أبوابٍ مختلفة ومتفرّقة، ضم الجزء الأول من الكتاب 45 بابًا والجزء الثاني "12" بابًا؛ صدره بالكلام عن قوله -صلى الله عليه وسلم- للأنصار: "إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع"، وختمه بباب عنوانه: منتخب طريف الشعر وذكر آيات من القرآن ربما غلط في مجازها النحويّون. ليس هناك ترتيب موضوعي للأبواب، ولا يختصّ كل باب بموضوع معين، إنّما جمع الكتاب فنونًا كثيرة من الأدب وألوان الثقافة العربية والأدبية والتاريخية والنحوية والأخبارية والقرآنية. وهو على اختلاف أبوابه يحتوي على مادة قرآنية غزيرة فسرها المؤلف تفسيرًا استمده من شواهد لغوية ونحوية، بالإضافة إلى المادة المتمثلة في الأحاديث النبوية الصحيحة الإسناد، كما يضمّ الكتاب بين مجموعة من أمثال العرب التي خصص لذكرها بابًا، وبلغت خمسة وسبعين مثلًا، تجلّى ذلك في ذكر أصل المثل والمناسبة التي قيل فيها وشرحه. ويذكر المؤلف أخبار الحكماء ويكثر منها، وفي مقدّمهم الحسن البصري وأسماء بن خارجة والأحنف بن قيس وغيرهم، وقد تكرر ذلك في معظم صفحات الكتاب تحت عنوان "نبذ من أخبار الحكماء"، كما خصص المؤلف بابًا لذكر أمثال العرب، واعتنى بالشعر والشعراء عناية كبيرة؛ حيث أورد الكثير من أخبارهم ونماذج من أشعارهم. ومن أهم أغراض الشعر التي تطرق إليها: المدح والهجاء والعتاب والرتاء والفخر، وذكر بعض الشعراء أمثال أبي نواس وأبي العتاهية وبشار بن برد، كما ضمّ الكتاب عددًا من خطب العرب من عصور مختلفة كخطبة عمر بن عبد العزيز وعتبة بن أبي سفيان وخطبة معاوية بن أبي سفيان وغيرهم. ومن جهة أخرى عرض لنا المؤلف مواضيع مهمّة في البلاغة ممثلة في التشبيه، وأفرد لذلك بابًا ودراسة مفصلة بين فيها أن "العرب تشبه على أربعة أضرب، فتشبيه مفرط، وتشبيه مصيب، وتشبيه مقارب، وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير ولا يقوم

بنفسه، وهو أحسن الكلام"، وذيلها بشواهد شعرية لشعراء مبرزين منهم: امرؤ القيس والنابغة وذو الرمة والشماخ وعلقمة بن عبدة وغيرهم كثير. كما تناول في هذا الجانب الكناية وأقسامها، والمجاز وأنواعه، والاستعارة وألوانها، والالتفات والتجريد، وأفرد بابا آخر في الإيجاز والإطناب. ثم انتقل من البلاغة إلى النحو، وهو من كبار أئمة المدرسة البصرية؛ فقد تطرق إلى موضوعات نحوية من قبيل ما يجوز فيه يَفْعَل فيما ماضيه فَعَلَ مفتوح العين، وباب اللام التي للاستغاثة والتي للإضافة، وباب فَعَلَ وباب النسب إلى المضاف، والنسب إلى علم المضاف، وإلى مضاف غير علم، وكان يورد الاستشهادات على كل قضية يطرحها، ويلها بشرح يتحرى فيه الدقة والعمق والتفريع. وفيما يخص الأخبار الأدبية والتاريخية فقد أفرد المؤلف لذلك بابًا كبيرًا ومفصلاً ذكر فيه أخبار الخوارج، كما أولى اهتماماً بشخصية الحجاج وبعض الأحداث التي زامنت عصر الحجاج، وضمن مواد الكتاب يسوق المبرد بعض الطرائف والنكت بين الحين والحين، والجدير بالذكر أن المؤلف تعمّد تنويع مادة الكتاب، بغرض التنشيط والتشويق، ودفع الملل والسأم عن القارئ حتى لا يحس بالفتور.

منهج الكتاب

يظهر منهج كتاب الكامل من خلال المقدمة التي وضعها مؤلفه، فقد استهل المبرد كتابه بمقدمة مختصرة يجلي فيها منهجه ومقصده في الكتاب يقول فيها: "هذا كتاب ألفناه يجمع ضرورياً من الآداب، ما بين كلام منثور، وشعر مرصوف ومثل سائر، وموعظة بالغة، واختيار من خطبة شريفة، ورسالة بليغة، والنية فيه أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً شافياً، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً، وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنياً". وفي ضوء ما ورد في المقدمة، يمكن القول بأنّ كامل المبرد هو في الأصل كتاب في الاختيارات الشعرية والنثرية، قدّمها المؤلف للمتلقّي مشروحة ومفسرة، كما زوّده ببعض المسائل النحوية والصرفية، حتى أصبح الكتاب علي هذه الشاكلة كتاباً أدبياً لغوياً نحوياً شاملاً. ولم يَسِرْ المبرد في ترتيب أبواب الكامل لخطة معيّنة في ترتيب الموضوعات، بل عرضها عرضاً عفويّاً، يتنقل فيه من موضوع لآخر

ويستطرد في موضوعاته، ليكون الاستطراد منهجًا واضحًا بقصد إراحة المتلقي وانتقال لنفي الملل، أمّا من حيث الشواهد الشعرية، فقد أوردها بما يساعده في تفسير قاعدة أو معنى غريب، وقد أوضح منهجه في اختيارها بقوله: "وأحسن منه ما أصاب الحقيقة"، ولذلك يورد الكثير من أشعار المحدثين رغم التصور الشائع حول إجادة القدماء، وفي ذلك يقول: "هذه أشعار اخترناها من أشعار المحدثين، حكيمة مستحسنة."

نبذة موجزة عن قدامة بن جعفر

قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي، ولد في البصرة سنة 260 أو 276 هجرية. أدرك ثعلبا والمبرد وابن قتيبة وطبقتهما، ونشأ في بغداد، كان نصرانيا ثم أسلم على يد الخليفة العباسي المكتفي بالله. برع في علمي البلاغة والحساب، وتأثر بالمنطق والفلسفة وهذا ظاهر في تصانيفه، كما برع في اللغة والأدب والفقه والكلام.

كان، إلى جانب ابن المعتز صاحب كتاب البديع، أحد رجلين عرّف علم البديع، ورسم طريقته وأوضح نهجه، وأبان للناس سبيله، له طريقة فذة في التأليف، تجمع إلى غزارة المادة عمق التفكير، وكانت ثقافته ذات مصدرين؛ أحدهما عربي تنطق به كلُّ صفحة من صفحات مؤلفاته، والثاني يوناني يتجلى أكثر ما يتجلى في كتابه نقد الشعر، الذي بدا فيه أثر كتاب الخطابة لأرسطو واضحا.

يعدّ نقد الشعر لقدامة أول كتاب يحمل هذا العنوان وترد فيه كلمة نقد صريحة، ويرى صاحبه أنه أول كتاب يؤلف في النقد.¹ وهو ذو أثر كبير في حركة النقد العربي ونهضته.

وقد فصل قدامة بن جعفر "مذهبه في النقد الذي احتذى فيه حذو أرسطو في كتابه [الخطابة] الذي ترجمه حنين ابن إسحاق في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري."² أما أهم الموضوعات الواردة فيه فهي تعريف الشعر، أسباب الشعر ومكوناته الرئيسية، أوصاف الشعر، طبيعة الشعر، الغلو والمبالغة في تناول المعاني.

لقد وضع قدامة بن جعفر مذهبا نقديا لنقد الشعر متأثرا بالثقافتين العربية الأصيلة والفلسفة اليونانية، فقد نهج قدامة في نقد الشعر نقدا علميا.³

موضوعات الكتاب

¹ قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية بيروت، د ط ، د ت، ص 6.

² حميد آدم ثويني: منهج النقد عند العرب، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004، ص 182.

³ المرجع نفسه، ص 184.

ينطلق قُدامة من تعريفه للشَّعر إلى حَصْر العناصر الأولى التي يتكوَّن منها الشعر، وهي: اللفظ والوزن، والقافية والمعنى.

وهو يرى أن الشعر - شأنه شأن أي صناعة أخرى - يعتوره طرفان: الطَّرَف الأقصى هو الجودة، والطرف الأدنى هو الرِّداءة، وبين هذين الطرفين تأتي حالُّ التوسط بين الجودة والرِّداءة، وهو عندما يحدِّد تعريفاً للشعر ينظر في هذه العناصر المذكورة بطريقة شكلية محضة، فيحدِّد الصفات التي يصل الشعر بها إلى أقصى درجات الجودة، ثم يحدِّد بعد ذلك العيوب التي بها ينحدر الشعرُ بها إلى أدنى درجات الرِّداءة. ورأى أنه يمكن إحداث تراكيب وائتلافٍ بين هذه العناصر الأربعة للشعر على هذا النَّحو:

اللفظ مع الوزن.

اللفظ مع المعنى.

الوزن مع المعنى.

القافية مع المعنى.

حاول النَّظر في كلِّ عنصر على حدة، فبيِّن علامات الجودة فيه، ثم انتقل إلى بيان المحسِّنات العامة للمعاني التي يورد فيها طرفاً من ألوان البديع، ويضع لها مصطلحات، ثم ينتقل بعد ذلك إلى بيان موجبات الحُسن أو الجودة في العناصر المركِّبة، حتى ينتهي من بيان النُّعوت، فانتقل إلى بيان العيوب وأوضحها في العناصر المفردة أولاً، ثم أوضح بعد ذلك العيوب التي تقع في المعاني عامَّة، ثم ذكر بعد ذلك بيان العيوب في العناصر المركِّبة .

منهج الكتاب

لما ظهر الكتاب وطارت شهرته في كلِّ مكان، أحدث ضجَّة عالية في عالم الأدب، تناوله الأدباء والنقاد، قديماً وحديثاً، بالردود والشروح. وقد تباينت آراؤهم: فمنهم مَنْ أثنى عليه وتصدَّى لُنصرتِه، كعبد اللطيف البغدادي في تأليفه كشف الظلامَة عن قدامة، وابن أبي الإصبع في كتابه الميزان. ومنهم من عارضه فيما ذهب إليه من رأي وخالفه أمثال الآمدي الذي ألف كتاباً ينقض به كتاب قدامة سماه

تبيين غلط قدامة، وكذلك الحال مع ابن رَشيق في كتابه تزييف نقد قدامة. ووقف فريق ثالث ووقف من الكتاب موقفا وسطا، وفي رأي هؤلاء فالكتاب بناء هندسي انشغل أولا بتقسيم الأجزاء والأركان، وبعد أن أتم هذا التقسيم ملأ هذه الأركان بنقد الشعر.

وهذا، في تقديري، أهمّ مأخذ على منهج قدامة في كتابه، حيث نقد الشعر بعيدا عن الشعر، فهو لم يقدّم بنقده العمل الشعري انطلاقا ممّا توجبه الظاهرة نفسها، بل أقام بناء نقديا أولا ثم أقدّم فيه الشعر ثانيا، ولعل السبب في هذه العملية كان نتيجة تأثره بالفلسفة والمنطق؛ ولهذا قد يكون عمل قدامة مفيدا في جزئياته المتفرقة لعلوم البلاغة، دون النقد.

طباعات الكتاب ومخطوطاته

- . طبعة مطبعة بريل ليدن سنة 1956 م.
- . طبعة مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة 1302 هـ.
- . طبعة القاهرة بتحقيق محمد عيسى منون 1934 م.
- . طبعة أولى بتحقيق كمال مصطفى سنة 1948.
- . طبعة ثانية بتحقيق كمال مصطفى بمكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد سنة 1962.
- . طبعة دار الكتب العلمية ببيروت بتحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي.